ملامح من علاقة مدينة حلب مع القوى الخارجية
(579-648هـ/1183-1250م)

أ. د . فراس سليم حياوي
كلية التربية الاساسية

م.د . ماجد عبد زيد احمد الخزرجي
مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية

المقدمة

تكمن اهمية حلب في الحقبة التي نحن بصددها بكونها احدى المراكز المهمة التي اعتمد عليها كل من الزنكيين والايوبيين في مقاومتهم للغزاة الصليبيين الذين استهدفوا بلاد الشام في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بهدف الاستيطان والسيطرة على المنطقة لما تملكه من امكانيات اقتصادية وبشرية فضلا عن موقعها الجغرافي المهم.امتلكت حلب، كغيرها من مدن الشام، امكانيات جعلتها تلعب دورا مهما في المنطقة، فقد ساعدتها تلك الامكانيات على استمرار حيويتها، لاسيما وانها كانت تخضع لها مناطق كثيرة واثّر ذلك في انتعاشها وتطورها من جهة، وفي سياستها الاقتصادية في المجالات الزراعية والصناعية والتجارية فضلا عن دورها الحضاري والفكري من جهة اخرى، ولهذا اصبحت مركزا لتحركات عماد الدين زنكي وولده نور الدين وكذلك صلاح الدين وابنائه من بعده.وهكذا اصبح لمدينة حلب ثقلها وشخصيتها، فضلا عن مشاركتها في الجهاد ضد الصليبيين وذلك بكونها جزء من الجيش المركزي الايوبي، على العموم لم تكن حلب بعيدة عن النشاطات السياسية مع القوى في المنطقة، وعليه فقد تتبع البحث علاقات حلب مع تلك القوى والتي تغيرت انماطها وسياقاتها تبعا للجهات التي تعاملت معها واهم تلك القوى هي الخلافة العباسية واتابكية الموصل وسلاجقة الروم والخوارزميون والصليبيين والارمن والمغول والمدن الايطالية، ولا بد من التنويه بان العلاقات الانفة الذكر اعتمدت على المصالح الشخصية والعامة للحكام ولهذا نجدها تتطور وتضمحل تبعا للظروف لانه وكما يقولون (لا صديق دائم ولا عدو دائم بل مصلحة دائمة).اتبعنا في هذا البحث المنهج التحليلي المعتمد على التحليل والاستنتاج وبيان الاسباب والنتائج ، من خلال اعتمادنا على مجموعة من المصادر والمراجع العربية منها والاجنبية.وللضرورة البحثية قسم هذا البحث الى تمهيد ومبحثين وخاتمة تناول التمهيد اسم المدينة وتاريخها وما تعرضت له من احداث اما المبحث الاول فتناول علاقة حلب مع الخلافة المركزية واتابكية الموصل اما المبحث الثاني فتناول علاقة حلب مع القوى الخارجية غير الاسلامية

تمهيد

وردت تسمية مدينة حلب في مدونات التاريخ القديمة بصيغة مقاربة لتسميتها العربية، فقد اطلق عليها المصريون القدماء تسمية(خورب) ووردت في اللغة الاكدية بصيغة (خلابا وخلوان)[1]، كما عرفت عند الاشوريين باسم (محلبا)[2]، مما يرجح ان تسمية مدينة حلب ذات اصالة عربية في مدونان التاريخ القديم.كما ورد اسم حلب في معاجم اللغة العربية، فهي من الناحية اللفظية تعني استخراج ما في الضرع من اللبن ومصدرها حلب يحلبها حلبا وحلابا[3]، وفي هذا النص دلالة اللون الابيض على الرقعة الجغرافية لمدينة حلب، وذلك لان التكوين الجغرافي لسطح ارض المدينة يميل الى البياض، ويشير ابن شداد الى ذلك بوضوح تام بقوله: ((تلقب بالشهباء والبيضاء لبياض ارضها ... وترابها يضرب الى البياض))[4]، ومن خلال استقراء هذا الراي يتضح ان الدلالة اللفظية الواردة في المعاجم العربية حول تسمية حلب قرنت ببياض اللون المائل في الحليب كدالة على بياض تربة مدينة حلب لذلك جاءت تسميتها بهذا الاسم.كما اوردت المصادر التاريخية اراء متعددة ومتباينة عن تسمية حلب، اعتمد بعضها على البعد الديني في حين اعتمد البعض الاخر على امور اخرى[5].صارت حلب مدينة واسعة وكبيرة، واشار الحموي في هذا المعنى: ((وفيها ثمانمائة ونيف وعشرون قرية ملك لاهلها ليس للسلطان فيها مقاطعات بسيرة ونحو مائتين ونيف قرية مشتركة بين الرعية والسلطان ... وفي اعمالها احدى وعشرون قلعه))[6] .ومدينة حلب ذات عمق تاريخي[7]، ذلك العمق الذي كان سببا في استمرارها رغم تعرضها لعدة هجمات خارجية عديدة[8]، حتى تمكن العرب المسلمون من تحريرها مثلما حررت مدن بلاد الشام الاخرى حيث حررت صلحا[9]، واصبحت من المدن المهمة في الدولة العربية الاسلامية واستمرت تلك الاهمية في الفترات اللاحقة، ومنها الفترة الزنكية حيث جعلها عماد الدين زنكي[10] (521-541هـ/ 1127-1146م قاعدة عسكرية لمواجهة الخطر الصليبي، وسار على نفس النهج ابنه نور الدين، الذي اتخذها قاعدة لاعتقاده

1- ناجي، عبد الجبار، دراسات في تاريخ المدن الاسلامية، البصرة، 1986م،ص 308.

2 سوسة ، احمد، مفصل العرب واليهود في تاريخ، بغداد، 1981م،ص 121.

3- ابن منظور ، محمد بن مكرم، لسان العرب ، بولاق، د.ت،ج 1ج،ص31 .

4- ابن شداد، الاعلاق الخطيرة في ذكر الشام والجزيرة، دمشق، 1953م، ج1،ق1،ص15 .

5- عن ذلك ينظر، ابن جبير، ابو عبد الله الحسن بن احمد(ت614هـ)، رحلة ابن جبير، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2003،ص 196؛ الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1995م،ج 2،ص282؛ ابن العديم، عمر بن احمد(ت660هـ) ، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق، سامي الدهان، معهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1968م،ج 1،ص10؛ ابن شداد، الاعلاق،ج 1،ق1،ص15، عبد الحميد، سعد زغلول، في تاريخ العرب قبل الاسلام، بيروت، 1976م، ص105، بهنسي، عفيف، الشام لمحات اثارية وفنية، بغداد، 1980م،ص 48.

6- ياقوتن ،شهاب الدين ابو عبد الله ت626هـ، معجم البلدان،ج 2،ص285 .

7- عن ذلك ينظر ابن العديم، زبدة الحلب،ج 1،ص12 وما بعدها؛ ابن شداد، الاعلاق،ج1،ق1،ص 12-13؛ سلمان، عامر واحمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، الموصل، 1978م، ص217،ص 339.

8- ناجي، دراسات،ص 307.

9- قدم وفد من اعيان المدينة الى القائد ابي عبيدة يطلبون الصلح والامان وذلك بعد معركة اليرموك سنة 15هـ،ص 636م فوافق ابو عبيدة على ذلك مقابل توفير احتياجات الجيش ،ينظر الواقدي، فتوح الشام، بيروت،د.ت،ص251 وما بعدها.

10- خرج عماد الدين من الموصل للجهاد ضد الصليبيين وكان هدفه توحيد بلاد الشام والجزيرة ضد العدو المشترك المتمثل بالصليبيين وقد وجد الاستقبال الكبير من اهل حلب للمزيد ينظر، ابن العديم، زبدة الحلب،ج2،ص241؛ خليل، عماد الدين، عماد الدين زنكي، الموصل، 1985م،ص 73. وما بعدها

ان ((من ملك حلب استظهر على بلاد الشرق))[11]،ومن خلالها استطاع من تحقيق النصر على اغلب جيوش الصليبيين[12].تعرضت حلب في منتصف ذي الحجة من سنة 571هـ/1175م الى محاصرة صلاح الدين وذلك لضمها لدولته الموحدة ليبدا بعد ذلك مرحلة التحرير والجهاد ضد الصليبين، وجرى بين الطرفين مراسلات طويلة انتهت بالتوصل الى عقد صلح عام ظهر في دراسة ظروفه ان كل من الحلبيين وصلاح الدين رغبا في عقده لا لضعف فيهما، وانما لدفع الخطر الخارجي الذي كان يهدد كلا الطرفين وخدمة لمصلحة المسلمين عامة ولذا قّدم كل طرف تنازلات عن طيب خاطر حبا في الوصول الى السلام ولتوحيد الكلمة من اجل مقاومة الصليبيين[13]، وهكذا تم عقد صلح عام بين الطرفيين، بعد ان نقض امير الموصل المعاهدة المبرمة بين صلاح الدين والحلبيين، ومع هذا يمكن توضيح صيغة المعاهدتين بما يلي:

1- في سنة 570هـ/1174م اصبح الحلبيون والايوبيون طرف واحد ضد الصليبين.
2- لايحق لطرف التحالف والتعاقد مع طرف ثالث الا بموافقة الطرف الثاني.
3- نقض الحلبيون العهد بتحالفهم مع امير الموصل ضد صلاح الدين.
4- جدد العهد سنة 572هـ/1176م مرة ثانية وانضم اليه اهل الموصل واصبح كالتالي:

ا. الجميع يد واحد ضد الغزاة الصليبيين .

ب. لايجوز لاحد نقض العهد.

ج. اذا نقض احد الاطراف العهد او خالفه فالباقون يدا واحدة عليه حتى يرجع الى الجماعة المتفق معها[14].

غير ان وفاة امير حلب فسح المجال لاتابك الموصل عز الدين محمد لسيطرة على حلب ثم جمع بعد ذلك الموصل اثر وفاة اميرها سنة 576هـ/1180م[15]، وذلك لرغبته في تكوين دولة تضم سروج والرها والرقة وحران والخابور ونصيبين الى جانب حلب والموصل، بينما رفض صلاح الدين اعطاء اي منطقة لكونها مناطق تابعة له بما في ذلك امارة الموصل[16]، لانه كان قد ابقاها بيد سيف الدين غازي بالشفاعة بعد ان اشترط عليه ان يمده بالعساكر[17]، وبعبارة اخرى كان صلاح الدين قد اعتبر سيف الدين واليا تابعا له وان فوضه استقلالا ذاتيا، ولما توفي كان على تلك البلاد ان تعود اليه.وهكذا نقضت المعاهدة السابقة المعقودة بين الايوبيين والنوريين حكام حلب والموصل، ولذلك تقدم صلاح الدين اليهم قواته لاجبارهم على الدخول في الوحدة من جديد، ففي بداية سنة 576هـ/1180 وتحرك لحصار حلب على اعتبار ان المعاهدة قد نسفت لما تقدم من امور، في محاولة لضم المدينة، ويبدو ان الوضع العام في حلب كان الى جانب صلاح الدين، فقد كانت هناك مراسلات بينه وبين بعض اهالي المدينة[18]، وربما هذا الامر خاف حاكم المدينة الذي اخذ من اهلها رهائن عنده واصعدهم الى القلعة تحسبا لاي موقف من اهل المدينة لصالح صلاح الدين[19].ومع اطباق الحصار على المدينة وكثرة الضغوط على حاكمها عماد الدين زنكي الثاني ،اضطر الى طلب الصلح من صلاح الدين على ان يترك حلب له مقابل تسليمه سنجار والخابور وتصبين وسروج ويكون في خدمته متى دعاه اي تابع له وقت الحاجة[20]، وهكذا انضمت حلب الى دولة صلاح الدين في 27صفر 579هـ/1183م، ثم تلته الموصل في 9ذي الحجة سنة 581هـ/1186م[21]، وبهذا تمت الوحدة بين مصر والشام والجزيرة، وثبت مركز صلاح الدين كقائد اسلامي عام لكل القوى التي كانت تعيش على تلك الارض الواسعة، بعد ان وافق الامراء المحليين ان ياخذوا موقفا حازما للوقوف معه ضد الصليبيين، وبعد مضي عدة شهور على تلك الوحدة هزمت الجموع الصليبية في معركة حطين وحررت القدس ومناطق اخرى في بلاد الشام، ولكن هذه الوحدة لم تستمر، اذ سرعان ما تفككت اوصالها بعد وفاة صلاح الدين سنة 589هـ/1193م بسبب الخلافات الجانبية والاطماع الشخصية لامراء البيت الايوبي، فضلا عن التحديات الخارجية التي مثلتها القوى المحيطة بها ،والتي استغلت ذلك الوضع لمد نفوذها على حساب ضعف وانقسام الدولة الايوبية الى امارات متصارعة على السلطة وتوسيع ممتلكات بعضها على حساب البعض الاخر، مع صعوبة الالتفات الى الاخطار التي كانت تهددها، اذ كان التقسيم الاداري الذي قام به صلاح الدين في حياته ابرز الاسباب التي ادت الى بروز النزاعات السياسية[22]والعسكرية بين ابناء البيت الايوبي حيث جعل ابنه الاكبر نور الدين علي (565-622هـ/1169-1225م) واليا على دمشق، بينما اسند ادراة مصر الى ابنه الاصغر العزيز عثمان (567-595هـ/1169-1198م)، اما ابنه الثالث وهو الظاهر غازي (568-613هـ/110-1216م) قد كانت حلب من نصيبه، في حين كانت حصة اخيه الملك العادل ادارة الكرك[23] والشوبك[24] فضلا عن الجزيرة وديار بكر.

11- ابو شامة،شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن ، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية،القاهرة ،د.ت ،ج1،ص47 .

12- ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن الشيباني (ت630هـ)، الكامل في التاريخ،بيروت، د.ت،ج 9،ص29 .

13- ابو شامة، مصدر سابق،ج 1،ص259 .

14- المصدر نفسه،ج 1،ص261 .

15- ابن واصل،جمال الدين محمد بن سالم(ت697هـ)، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ،تح جمال الدين الشيال، القاهرة، د.ت،ج 2،ص92 .

16- ابو شامة، الروضتين،ج 2،ص17 .

17- ابو شامة، الروضتين، ج2،ص17؛ المعاضيدي، خاشع واخرون، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، جامعة الموصل، د،ت، ص162 .

18- يبدوا ان هناك حركة شعبية كبيرة تؤيد وتساند صلاح الدين وكانت بينها مراسلات يحرضونه على دخول المدينة ومنها مراسلات الشاعر ابوالفضل الحلبي وابن سعدان، ينظر، ابو شامة، الروضتين،ج 2،ص44.

19- ابن العديم، زبدة الحلب،ج 3،ص64 .

20- ابن واصل، مفرج الكروب،ج 2،ص142 .

21- ابو شامة، الروضتين،ج2،ص64؛ التكريتي، محمود ياسين، الايوبيون في شمال الشام والجزيرة، دار الرشيد، بغداد، 1981م، ص128 وما بعدها.

22- كان لهو وعبث الملك الافضل وتدخل حاشيته في امور الدولة قد اثار النزاعات بينه وبين اخيه العزيز .

23- قلعة حصينة تقع في طرف الشام الجنوبي من جهة الحجاز تحيط بها الاودية ،الحموي ، معجم،ج 4،ص453 .

24- قلعة تقع جنوب الكرك على تل مرتفع مطل على غور الاردن من جهة الشرق ،ابو الفداء ،عماد الدين اسماعيل، تقويم البلدان ،تصحيح رينو والباون كوكوين ويسلان، د.م، 1840م، ص34.

على ضوء ذلك الانقسام صارت حلب من حصة الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين[25]، الذي وصفه ابن كثير بانه: ((من خيار الملوك واسدَهم سيرة))[26]، واستطاع من حكم المدينة وتوابعها بكل همة ونشاط. توفي الملك الظاهر سنة 613هـ/1216م وتولى ابنه الملك العزيز الظاهر[27] (613-635هـ/1216-123م) وكان ((حسن الصورة كريما عفيفا ... وكان من اعدل الامراء))[28].توفي الملك العزيز سنة 635هـ/ 1237م وتولى ابنه الناصر يوسف بن العزيز مقاليد الحكم في المدينة وسار على نهج ابيه، وفي سنه 648هـ/1250م قتل الامراء الملك المعظم تورانشاه بن الصالح[29]، ولهذا سارا بالحلبيين واستقر به المقام في دمشق وما حولها ومنها الى الديار المصرية لاخذها، واستطاعوا من التغلب على الجيش المصري في اول الامر ولكن دارت الدائرة على الجيش الشامي وخسروا المعركة[30].اما مدينة حلب فكان تورانشاه[31] يدير شؤونها نائبا عن الملك الناصر الذي بقي في دمشق، وفي عهده تعرضت مدينة حلب الى ابشع حملة تشهدها المدينة وذلك سنة 658هـ/ 1260م حيث قتلوا ((ونهبوا وسبوا النساء والاطفال وخربوا اسوار المدينة واسوار القلعة وبقيت حلب كانها حمار اجرب))[32].

المبحث الاول: علاقة حلب مع الخلافة المركزية واتابكية الموصل

1- علاقة حلب مع الخلافة المركزية في بغداد:

تعد المدة المحصورة بين مجيء صلاح الدين من مصر ودخوله ودمشق سنة570هـ/ 1174[33] ثم استيلاؤه على حلب في شهر صفر سنة 579هـ/ 1138م[34]، فترة مليئة بالاحداث المثيرة بين صلاح الدين والامراء المحليين الذين تشبثوا بكل الوسائل في مقاومته، محاولين الاحتفاظ بسلطاتهم، حتى ولو تعاونو مع الصليبين ضد صلاح الدين[35]، وعلى اية حال فقد توج صلاح الدين مساعيه في بلاد الشام بضم حلب الى دولته المنشودة، وقد اعتبر الصليبون هذه الخطوة اعظم نكبة حلت بهم، لانها اكدت الروابط الستراتجية والعسكرية بين مصر والشام، واصبحت ممتلكاتهم في الشام محصورة ضمن ذلك الاطار[36]، وهذا ما اشار اليه الداوداري بقوله: ((فلما بلغ الفرنج خروج صلاح الدين في تلك العساكر الكثيفة سكنوا عما هموا عليه))[37].اعتمد صلاح الدين اسلوب اضفاء الشرعية من قبل الخلافة العباسية على نشاطاته السياسية والعسكرية بوصفها السلطة الشرعية لجميع المسلمين في الصراع ضد الصليبيين، مما اكسب صلاح الدين احتراما واضحا من قبل الخلافة العباسية واغلب القوى الاسلامية في بلاد الشام والجزيرة، وتبعا لذلك فقد اتسمت تلك العلاقات بطابعها الايجابي، ولهذا بعث الخليفة المستضيء بنور الله العباسي[38] (566 – 575 هـ/ 1170-1179م) له تقليدا على ما بيده من البلاد، وبالفعل، وصلته خلع الخليفة من بغداد ومرسوما بولاية مصر والشام وغيرها وبذلك اعترفت الخلافة المركزية في بغداد بحكمه خلفا شرعيا لنور الدين[39].وحرص خلفاء صلاح الدين في حلب على كسب دعم الخلافة العباسية لشرعية حكمهم وعلى وجه الخصوص، في فترات النزاع التي نشبت فيما بينهم، ففي سنة (590هـ/ 1193م) ارسل الملك الظاهر[40] حاكم حلب رسوله القاضي بهاء الدين بن شداد[41] الى الخليفة الناصر لدين الله (575- 622هـ/ 1179-1125م) مع مجموعة من الهدايا وكان الهدف من زيارته طلب التشريف والشرعية[42]، وبالمقابل ادرك الخليفة الناصر توجهات الملك الظاهر الايجابية تجاه الخلافة العباسية وهي استمرار لسياسة ابيه في هذا المجال، والمتمثلة بكسب التاييد في صراعه مع عمه الملك العادل[43]، فقد حاول الملك الظاهر مرة اخرى ان يلفت نظر الخليفة الناصر اثناء استقباله رسوله شهاب الدين السهروردي[44] في سنة 604هـ/ 1207م بكل حفاوة وتقدير في مدينة حلب، في الوقت نفسه لم يتجاوز الخليفة الناصر مكانة الملك العادل ولهذا ارسل اليه بالخلع والهدايا[45]، ويبدو ان الخليفة كان يريد ان ينحى منحى متوازن في علاقاته مع البيت الايوبي ليكسب الجميع الى جانبه لاسيما وانهم يواجهون الغزاة الصليبيين، فاراد الاحتفاظ بالجميع عملا بالمركزية.وانسجاما مع تلك المواقف فقد شاركت وحدات من الجيش الحلبي مع قوات الخلافة العباسية للقضاء على احد المتمردين عليها في بلاد فارس والمدعو (متكلي)[46] ونتيجة لدور قوات حلب في القضاء على ذلك التمرد، ارسل الخليفة الناصر

---

[25]- ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق محمد بيومي واخرون، مكتبة الايمان، المنصورة، د.ت،13،ص69؛ ابن العماد والحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار احياء التراث، بيروت،د.ت،ج5،ص55.

[26]- ابن كثير، البداية والنهاية،ج 13،ص69.

[27]- محمد بن السلطان الملك الظاهر غياث الدين غازي بن السلطان صلاح الدين وابن الخاتون بنت الملك العادل ابي بكر بن ايوب، ابن كثير، البداية والنهاية،ج 13،ص140.

[28]- ابن كثير، البداية والنهاية،ج 13،ص140.

[29]- المصدر نفسه،ج13،ص171.

[30]- المصدر نفسه،ج 13،ص170-171.

[31]- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،ج 5،ص292.

[32]- ابن كثير، البداية والنهاية،ج13،ص203.

[33]- ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن احمد، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق، عبد القادر احمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1963ص176-177؛ البنداري، الفتح بن علي، سنا البرق الشامي، تحقيق، فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م،ص 81.

[34]- ابن الاثير، الباهر،ص 183.

[35]- ابن واصل، مفرج الكروب،ج ح2،ص24.

[36]- الجميلي، رشيد، دولة الاتايكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1975م،ص 149.

[37]- ابو بكر بن عبد الله بن ابيك، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق سعيد عبد القناع عاشور، القاهرة، 1972م،ج 7،ص43.

[38]- ابو محمد الحسن بن يوسف المستجد بن محمد، بويع بالخلافة سنة 566هـ،ص1170م؛ الكازروني، مختصر التاريخ، تحقيق مصطفى جواد، بغداد، 1972م،ص 237.

[39]- ابو شامة، الروضتين،ج 1،ص639- 640؛ السامرائي، فراس سليم، التقاليد والعادات الدمشقية، دار الاوائل، دمشق، 2004م،ص 45-46.

[40]- ابو الفتح وابو منصور غازي بين السلطان صلاح الدين عنه ينظر، ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد، وفيات الاعيان وابناء اخبار الزمان دار احياء التراث العربي، بيروت، 1997م؛ ابن العماد الحنبلي،شذرات الذهب،ج 5،ص5.

[41]- القاضي يوسف بن رافع بن تميم ،شخصه مرموقة اجتمع الناس له توفي بحلب سنة ت 133هـ في حلب، ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن، تراجم رجال القرنيين السادس والسابع، دار الكتب العلم بيروت، 2002م، ص248؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات،ج 5،ص158-159.

[42]- ابن واصل، مفرج الكروب،ج 3،ص9.

[43]- الملك العادل سيف الدين محمد بن ايوب اخو السلطان صلاح الدين (ت615هـ) ؛ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن(ت874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، د ت،ج 6،ص173.

[44]- عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد واسمه عبد الله البكري البغدادي، شهاب الدين ابو حفص السهروردي، شيخ الصوفية من كبار الصالحين وتردد بين الخلفاء والملوك مرارا بصفة رسول توفي سنة 630هـ، ابن كثير، البداية والنهاية،ج 13،ص133.

[45]- ابن واصل، مفرج الكروب،ج 3،ص180-181.

[46]- اهو احد المماليك الذي استولى على مدن كثيرة منها الري واصفهان وهمدان، ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج 9،ص305.

رسوله وهو يحمل اعتراف الخليفة العباسي في حكم حلب مع مجموعة من الهدايا الثمينة[47]، وقد استقبل اهل حلب رسول الخليفة استقبالا مرموقا وذلك من خلال امتثالهم لارشاداته وتوجيهاته التي تخص مصلحة المسلمين، او في تسليمهم لما يمنحه ويخلعه لهم، وفي هذا دليل على ولاء حلب وصلاتها الودية مع الخلافة العباسية في بغداد، ومن مظاهر هذا الاحترام استقبال حاكم حلب رسول الخليفة بهيبته الرسمية وتمام زينته وتكرر ذلك عند حضوره للمحاضرة التي القاها رسول الخليفة السهروردي في جامع حلب، فكان الملك الظاهر يقف على قدميه اجلالا كلما ذكر اسم الخليفة العباسي الناصر لدين الله[48]، كما اقام الملك الظاهر مجلس العزاء في حلب ولبس السواد بعد سماعه وفاة الامير علي[49] بن الخليفة الناصر لدين الله[50].استمرت العلاقات الحسنة بين الخلافة المركزية وحكام مدينة حلب والتي اعطت دعما معنويا وشرعيا لحكمهم، ولهذا اعتمد الخليفة الظاهر[51] بن الخليفة الناصر لدين الله(622- 623هـ/ 1225- 1226م) على اعطاء الشرعية السياسية لحكم الملك العزيز في حلب[52]، وهكذا نجد العلاقة الطيبة بين الخلافة المركزية في بغداد وحكام حلب والذي سعى الجميع لادامتها فحكام حلب وجدوا في الخلافة العباسية الشرعية والمرجعية الدينية والسياسية وبالمقابل وجدت الخلافة بحكام حلب القوة التي تقاوم الصليبيين، وربما هي تغطي عنها وتقوم بدورها الذي يجب ان تقوم به كونها مركز الحكم، ولهذا كان حكام حلب موضع اهتمام وامتنان واحترام الخلافة في بغداد.

2- علاقة حلب مع اتابكية الموصل[53]: كانت علاقة حلب باتابكية الموصل علاقة متباينة حسب الضروف فقد نقض الحلبيون العهد[54]مع صلاح الدين عندما تحالفوا مع سيف الدين غازي امير الموصل والجزيرة، وقد جدد العزم سنة 572هـ/ 1176م ثانية وانظم اليه اهل الموصل، غير ان وفاة حاكم حلب الملك الصالح بن نور الدين وسيطرة اتابك الموصل عز الدين بن مسعود[55] على حلب اوجد شقاقا جديدا بين صلاح الدين والنوريين، فقد رفض صلاح الدين ان يمنح عز الدين من تلك البلاد التي كانت بيد سيف الدين لانه نائيا عنه في حكم تلك المناطق وبموته يجب ان تعود تلك المناطق اليه[56]، وهكذا نقضت المعاهدة التي كانت بين الايوبيين والنوريين حكام الموصل وحلب، وهكذا قدم صلاح الدين بقواته لاجبارهم على الدخول في الوحدة من جديد في المحرم سنة 576هـ/ 1180م فحوصرت حلب حصارا شديدا[57].ولما طال الحصار وكثرت المصروفات اليومية طلب حاكم حلب الصلح من صلاح الدين على ان يتنازل عن حلب مقابل تسليمه سنجار والخابور ونصيبين وسروج شريطة ان يبادر حاكمها على خدمته متى دعاه[58]، وهكذا تمكن صلاح الدين من ضم حلب الى مملكته وكان ذلك في صفر سنه 579هـ/ 1183م.اتجه صلاح الدين الى الموصل وحاصرها للمرة الثالثة[59]، ولكنه كان عازما هذه المرة على السيطرة عليها بكل الوسائل، واخيرا تم الصلح بينه وبين الموصل والايوبيين[60].وبعد وفاة صلاح الدين بدات العلاقات السياسية والعسكرية، بين الايوبيين والاتابكة تاخذ اتجاهات متغايرة تبعا لطبيعة الصراع بين ابناء البيت الايوبي، ولذلك انتهز حاكم الموصل عز الدين مسعود فرصة وفاة صلاح الدين، وهاجمت قواته مدينتي حران والرها بهدف اعادتها الى سلطته، ولكنه واجه مقاومة كبيرة بمساعدة قوات من حلب وفشل مشروعه[61].ولكن الامور تغيرت بين الطرفين واصبحت علاقاتهما قائمة على التعاون المشترك، فقد عقد اتفاق عسكري بين الظاهر غازي حاكم حلب وحاكم الموصل نور الدين ارسلان شاه سنة 595هـ/ 1192م ضد الملك العادل وطموحه في المنطقة، وعملاً بذلك الاتفاق فقد استطاعت قوات مشتركة من الموصل وحلب من استرداد الرها والرقة وسروج وحران وضمها الى اعمال الموصل، وتمكنت تلك القوات من الانتصار على قوات العادل في موقعة قرب مدينة ماردين[62].هذه الانتصارات قوت من موقف الظاهر وبينت تعاونه من خلال تنفيذ الاتفاق، وربما تلك الانتصارات المتلاحقة قد شجعته، بحيث طلب من نور الدين ارسلان اقامة الخطبة له وضرب العملة باسمه في مدينة الموصل ولكن نور الدين قرر ايقاف هذا الاتفاق دون الغائه لانه خاف من نوايا الملك الظاهر في محاولة ضم الموصل مملكة حلب[63].وتجدد التعاون بين الطرفين سنة 597هـ/ 1200م لتحقيق مكاسب كثيرة، وذلك بتدخله في الصراع الدائر بين الملك الظاهر وعمه الملك العادل في دمشق، فقد وقف الى جانب الملك الظاهر في حلب ضد عمه في دمشق وارسل جيشا لمحاصرة الاخير، ولكن هذا التعاون بين الموصل وحلب لم يكتب له النجاح[64]، وقد استطاع العادل من كسب نور الدين الى جانبه وتوج ذلك اخيرا بعقد مصاهرة سياسية بينهما[65]، ومع هذا فقد تعكر صفو تلك العلاقة بسبب تعرض مدينة سنجار للحصار من قبل الملك العادل والذي اعتبره نور الدين بمثابة تهديد لمدينة الموصل، وكرد سريع على الموقف اعاد علاقته مع الظاهر ووافق على شروطه السابقة في اقامة الخطبة له وضرب العملة باسمه، بالمقابل بادر الملك الظاهر بارسال وفدا الى الملك العادل يطلب منه وبقوة سحب قواته من سنجار، لاسيما وان الخلافة المركزية في بغداد كانت تبارك وتؤيد مساعي الملك الظاهر من ناحية فضلا عن انضمام كل من سلاجقة الروم واتابكية اربل الى التحالف من ناحية اخرى،

47- ابن واصل، مفرج الكروب،ج 3،ص228-332،233.

48- المصدر نفسه،ج 3،ص233.

49- ابو الحسن علي الملقب بالملك المقطم وهو الولد الاصغر للخليفة الناصر لدين الله وكان احب ولد الخليفة ورشح لولاية العهد بعد ان عزل ولده الاكبر، توفي سنة 612هـ، ابن الاثير الكامل،ج 10،ص370 ؛ ابو شامة، تراجم، ص141.

50- ابن واصل، مفرج الكروب،ج 3،ص230.

51- الظاهر بامر الله بن الناصر محمد لدين الله احمد بن المستضئ، بويع بيوم بعد وفاه ابيه ومدة خلافته تسعة اشهر ونصف وكان دينا وخيرا متواضعا توفي سنة 633هـ، ابو شامة، تراجم، ص226؛ ابن المعاد الحنبلي، شذرات،ج 5،ص109-110.

52- ابن العديم، زبدة الحلب،ج 3،ص197؛ ابن واصل، مفرج الكروب ،ج4،ص175.

53- اسسها عماد الدين زنكي في سنة 521هـ،ص 1127م، ووالده قسيم الدولة اق سنقر بن عبد الله كان تركيا من اخص اصحاب السلطان ملكشاه بن اكب ارسلان، ابن الاثير، الباهر، ص4؛ ابن واصل، مفرج الكروب،ج 1،ص11.

54- عقد صلح بين صلاح الدين واهل حلب في ذي الحجة سنة 571هـ،ص1175م وذلك لرفع الخطر الخارجي الذي هدد كلا الطرفين وخدمة لمصلحة المسلمين عامة، وبذلك قدمَ كل طرف تنازلات عن طيب خاطر حبا للسلام وتوحيد الكلمة من اجل مقاومة الصليبيين، ابو شامة، الروضتين،ج 1،ص259.

55- تسلم عز الدين مسعود قيادة النوريين في الموصل وبلاد الجزيرة اثر وفاة اخيه سيف الدين غازي في 3 صفر سنة 576هـ،ص1180م. ابن واصل، مفرج الكروب،ج 2،ص92.

56- ابو شامة، الروضتين، 2،ص17.

57- المصدر نفسه،ج 2،ص44.

58- ابن واصل، مفرج الكروب،ج 2،ص142.

59- حَوصرت الموصل اكثر من مرة للمزيد ينظر: الجميلي، دولة الاتابكة ، ص149 و ص158.

60- عن بنود ذلك الاتفاق ينظر ابو شامة، الروضتين،2ج،ص24؛المقريزي،تقي الدين احمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق، محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التاليف والترجمة، القاهرة، د.ت،ج 1،ص90.

61- ابن العديم، زبدة الحلب،ج 3،ص129.

62- ابن واصل، مفرج الكروب،ج 2،ص102.

63- ابن الاثير، الكامل،ج 9،ص246-247.

64- استطاع الملك العادل من اثارة الخلاف بين كل من نور الدين والملك الظاهر مما ادى الى انهاء ذلك التحالف بين الطرفين. ابن العديم، زبدة الحلب،ج 3،ص148 وما بعدها.

65- تزوج احد ابناء الملك العادل من احد بنات نور الدين ارسلان شاة .ابن واصل، مفرج الكروب،ج3،ص191.

ولهذا استجاب الملك العادل، ووافق على الانسحاب[66].واستمرت الامور على هذا المنوال في مساعدة كل طرف للطرف الاخر بعد وفاة الملك الظاهر فقد استنجد حاكم الموصل بدر الدين لؤلؤ[67] بالملك الاشرف مقدم جيش حلب لمساعدته عسكريا ضد هجمات مظفر الدين[68] حاكم اربل، فاستجاب له الملك الاشرف[69] وحسم الامور لصالح بدر الدين لؤلؤ مما جعل الاخير يقيم في الموصل الخطبة وضرب السكة للملك الاشرف[70].ولكن تلك العلاقات تغيرت بتولي الملك الناصر يوسف الثاني حكم مدينة حلب ورغبته في ضم كل من نصيبين وقرقيسيا وغيرهما[71] سنة648هـ/ 1250م الى مدينة حلب، مما ادى الى غضب بدر الدين لؤلؤ، ويبدو ان العلاقات قد توترت ومع هذا لم تصل الى الصدام المسلح بين الطرفين، ولكنها عادت مرة اخرى، حين قام بدر الدين لؤلؤ بارسال جيش سنة 649هـ/1251م للاشتراك مع جيش الايوبيين لاستعادة مصر[72].ومع تزايد الخطر المغولي وزحفه باتجاه مدن الجزيرة والشام حيث ظهرت الحاجة الى توحيد الصفوف ضد العدو المشترك، لكن كان للمغول كلام اخر حيث كان احتلالهم لمدن الشام والجزيرة سنه 658هـ/ 1260م دوره في انتهاء تلك العلاقات .

المبحث الثاني:علاقة حلب مع القوى الخارجية

1- علاقة حلب مع سلاجقة الروم[73] :استولى سلاجقة الروم على حصن رعبان[74] سنه 575هـ/ 1179م وهذا الحصن كان ضمن ممتلكات الدولة الايوبية، ولكن صلاح الدين استطاع من استعادة هذا الحصن منهم[75] وكان هذا بداية العلاقة بين الايوبيين وسلاجقة الروم، حيث تطورت المجابهة العسكرية بين الطرفين الى اتفاق مصالحة سنة 576هـ/ 1180م[76] انتهى بقيام علاقة مصاهرة[77] بينهما كان لها دور في توطيد العلاقات والتعاون على المستوى العسكري[78].ولكن هذا التحالف سرعان ما تصدع عندما تدخل سلاجقة الروم في الصراع بين الايوبيين، فتم عقد اتفاق بين الملك الافضل[79] وسلطان سلاجقة الروم تمخض عن اشتراكهما بحملة عسكرية للسيطرة على حلب بعد وفاة الملك الظاهر، ونجح هذا التحالف في السيطرة على مناطق كثيرة[80] تابعة لحلب، ولكن تصدى قوات الملك العادل بقيادة ابنه الملك الاشرف حالت دون سيطرتهم على مركز مدينة حلب، وليس هذا فحسب بل طاردتهم تلك القوات وانتزعت منهم كل المدن التي سيطروا عليها[81].واستمرت حالات التدخل من قبل سلاجقة الروم في الصراعات الدائرة بين افراد البيت الايوبي وربما ذلك نابع من تطفلهم للحصول على مكاسب سياسية ومالية، ولهذا حاول احد سلاطينهم[82] من اثارت الخلافات بين حلب والقاهرة ولكنه واجه معارضة من قبل حاكميها[83] وذلك للعلاقة القوية التي كانت تربطهما لدرجة ان حاكم حلب تبرع لضم جيش حلب الى الجيش المصري كجزء من الاستعداد لحملة عسكرية لمحاربة سلاجقة الروم[84]، واستمرارا مع هذا النهج امتنع الملك المعظم عن مقابلة رسول سلطان سلاجقة الروم سنة 623هـ/ 1219م وبشكل عام اتسمت علاقة سلاجقة الروم بالايوبيين بعدم الاستقرار باختلاف المصالح.ولكن العلاقات تحسنت بعد ذلك نتيجة المصاهرات[85] بين سلاجقة الروم وحلب، واثرها في انحاء سلاجقة الروم منحا ايجابيا مبني على التعاون والدفاع، تجسد ذلك في الدفاع عن مدينة حلب ضد هجمات الملك الكامل حينما اراد ضم حلب لدولته[86]، على العموم كان لسلاجقة الروم دور مهم في مساندتها لحلب[87] ضد اطماع الصليبيين وغيرهم وبالمقابل كان للجيش الحلبي دور في الصراع السلجوقي المغولي[88].

2- علاقة حلب بالخوارزميين[89]حاولت الدولة الخوارزمية اقامة علاقة ودية مع الدولة الايوبية وذلك على اثر وصول رسول منهم سنة 617هـ/ 1220م الى الملك الايوبي للغرض اعلاه[90]، وبالمقابل ارسل الملك المعظم سنة 619هـ/1222م الى شاه خوارزم[91] يعرض عليه التحالف ضد اخويه الملك الكامل والملك الاشرف، ورغم تلك العلاقة الطيبة والتعاون الدفاعي المشترك، فان الملك الايوبي لم يستجب لشاه خوارزم عندما طلب منه المساعدة ضد الخليفة [92] الناصر سنة 622هـ/ 1225م وربما ذلك بسبب كون الخليفة

---

[66]- ابن العديم، زبدة الحلب،ج3،ص160-162؛ ابن واصل، مفرج الكروب،ج 3،ص197.

[67]- تولى حكم الموصل سنة(615هـ/ 1220م) اتابكا لابن الملك القاهرة بن نور الدين ارسلان شاه عنه ينظر ابن الاثير، الكامل،ج 9،ص321.

[68]- مظفر الدين ابو سعيد كوكبوري بن الامير زين الدين، ولي مملكة اربل وعمل على تطويرها في مختلف المجالات. ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،ج 5،ص138.

[69]- الملك الاشرف موسى بن الملك العادل الايوبي، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5،ص175 ؛ الجميلي، دولة الاتابكة، ص193-194.

[70]- ابن العديم،زبدة الحلب،ج 3،ص190،987؛ الجميلي، دولة الاتابكة،ص 194.

[71]- ابو الفداء،المختصر،ج3،ص181.

[72]- ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ج3،،ص236

[73]- هم فرع من السلاجقة جاوروا الدولة البيزنطية ،ويعد سليمان بن قتلمش ت469هـ/1077م مؤسس دولة سلاجقة الروم والذي وسع رقعة منطقته في اسيا الصغرى من البحر الاسود حتى شواطئ البحر المتوسط جنوبا واشهر مدنهم نيقية واقصرا وسيواس وملطية ..الخ، ابن الاثير . الكامل ،ج 8،ص98و163؛ محمد، حسنين عبد المنعم ، سلاجقة ايران ،القاهرة،1959م،ص 55-58

[74]- مدينة بالثغور بين حلب وسمسياط قرب الفرات،الحموي، معجم،ج 3،ص15-52.

[75]- استطاع صلاح الدين من استعادة الحصن عن طريق الحملة التي قادها الامير تقي الدين عمر. ابن الاثير، الكامل،ج 9،ص148.

[76]- ابن واصل، مفرج الكروب،ج 2،ص79،97 وما بعدها.

[77]- تزوج الامير معز الدين فيصل السلجوقي من ابنة الملك العادل الايوبي. ابن الاثير، الكامل، ج9،ص218 وما بعدها.

[78]- تم عقد اتفاق عسكري بين الايوبيين وسلاجقة الروم ضد كل من الارمن والصليبيين، ابن العديم، زبدة الحلب،ج 3،ص160.

[79]- وهو اكبر ابناء صلاح الدين والمعهود له بالملك من بعده وكان قد استوزر ضياء الدين ابن الاثير فاغراه بطرد امراء ابيه، ففارقوه الى اخوانه العزيز والظاهر، المقريزي، السلوك،ج 1،ص115؛ باشا، محمد موسى، ادب الدولة المتتابعة، دار الفكر الحديث، بيروت،1967م،ص 76

[80]- كان نتيجة اتفاق الملك الافضل مع عزالدين كيكاوس سلطان سلاجقة الروم على المدن التابعة لحلب ومنها منبج ورعبان وتل خالد وتل باش وبرج رصاص. ابن العديم، زبدة الحلب،ج3،ص183.

[81]- ابن العديم، زبدة الحلب،ج 3،ص183؛ ابن واصل، مفرج الكروب،ج 3،ص266، وبعدها.

[82]- ابن العديم، زبدة الحلب،ج3،ص216.

[83]- كان الملك الكامل بن الملك العادل حاكم مصر والملك العزيز بن الملك الظاهر غازي حاكم حلب. ابن العديم، زبدة الحلب،ج 3،ص216.

[84]- حاول كل من حاكم حلب وحاكم مصر توجيه حملة عسكرية لاستعادة مدينة خلاط التابعة للدولة الايوبية، ابن العديم، زبدة الحلب، ج3،ص216-217.

[85]- تزوج سلطان سلاجقة الروم علاء الدين كيقباذ من اخت ضيفة خاتون ابنة الملك العادل. وتبعتها مصاهرة اخرى عندما تزوج الملك الناصر يوسف الثاني حفيد ضيفة خاتون من اخت غياث الدين كيخسرو، كما تزوج غياث الدين هذا اخت الملك الناصر يوسف الثاني. ابن واصل، مفرج الكروب،ج 5،ص183-184؛ النويري، اشهاب الدين احمد، نهاية الارب في شؤون الادب، تحقيق: محمد ضياء الدين، الهيئة المصرية، القاهرة، 1993م،ج 29،ص379؛ الحنبلي، احمد بن ابراهيم، شفاء القلوب في مناقب بني ايوب، تحقيق: ناظم رشيد، دار الحرية، بغداد، 1979م،ص 329

[86]- هاجم الملك الكامل بن الملك العادل مدينة حلب في محاولة لضمها الى دولته. ابن العديم، زبدة الحلب،ج 3،ص236.

[87]- كان لسلاجقة الروم دورا مهما وجهودا حثيثة في جعل الرها وسروج تابعة لولاية حلب. ابن واصل، مفرج الكروب،ج 5،ص185.

[88]- ابن العديم، زبدة الحلب،ج 3،ص249، 268وما بعدها؛ ابن العميد، المكين جرجس، اخبار الايوبيين، المعهد الفرنسي، دمشق، 1958،ص145.

[89]- يعد انوشتكين مؤسس الدولة الخوارزمية ممن تدرج في وظائف الدولة السلجوقية حتى عينه السلطان ملكشاه واليا على خوارزم سنة 470هـ/1077م، ثم استقلوا عن السلاجقة سنة 529هـ/ 1134م. بارتولد، فاسيلي فلاديمير وفتش، تاريخ الترك في اسيا، ترجمة: احمد سعيد سلمان، مكتبة الانجلو، القاهرة، 1958م،ص 140؛ العبود، نافع توفيق، الدولة الخوارزمية، بغداد، 1978م،ص 27.

[90]- التكريتي، الايوبيون، 1981م،ص 288-289؛ العبود، الدولة الخوارزمية،ص 287.

[91]- جلال الدين منكبرني بن خوارزم شاه. سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزاوغلو، مراه الزمان في تاريخ الاعيان، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر اباد، 1952م، ج8،صق2،ص623.

[92]- سبط ابن الجوزي، مرآه الزمان،ج 8،صق2،ص669.

الناصر بمثل السلطة المركزية الروحية والسياسية ومقرها بغداد ولهذا لم يقم السلطان الايوبي باي تحرك يخدش شعور الخلافة المركزية خاصة وانه كان بحاجة الى شريعتها، وهكذا فانه انسحب عن الاتفاق ولكن المراسلات استمرت بين الطرفين لانها وكما يبدو عونا معنويا للسلطان الايوبي نتيجة تهديد اخوته بين الحين والاخر، على العموم استطاع الملك المعظم من توطيد علاقته مع الخوارزميين عن طريق المصاهرة[93].حاولت الخوارزمية التوسع والحصول على مناطق نفوذ تابعة لمدينة حلب وذلك سنة 627هـ/ 1229م ولكنها اصطدمت بكتلة قوية ضمت كل من الجيش الايوبي المركزي وقوات سلاجقة الروم فضلا عن قوات حلب[94] وهكذا فشلت مساعيها[95].وعادت الدولة الخوارزمية الى مهاجمة المدن التابعة لحلب ومنها جعبر وبالس وحران وذلك انسجاما مع توجهاتهم العسكرية ورغبتهم في السلب والنهب ولم يكتفوا بذلك بل هاجموا مدينة حلب نفسها سنة 638هـ/ 1240م[96]، ويبدو ان الغارة كانت كرد على التحرك الحلبي تجاه مدينة حماة[97]، التي كانت الدولة الخوارزمية على صلة وثيقة بحاكمها [98] وبالمقابل حاولت حماة من دعم الخوارزمية بتوفير الاقوات والمؤن لها بغية مواصلة غارتها ضد مدينة حلب[99].وكرد على تحركات الخوارزمية تحرك الجيش الحلبي وتعداده الف وخمسمائة مقاتل لقتال الخوارزمية في حين كان جيش الاخيرة اثني عشر الف مقاتل، واشتبك الطرفان في معركة غير متكافئة كانت الغلبة في النهاية للخوارزمية بعد ان اسروا صاحب حلب[100] وغنموا الاموال وسبوا وضربوا وقتلوا ثم اتجهوا الى جيلان وقطعوا المياه عن حلب وضربوا اعمالها. وهذا ما شجعهم الى مواصلة الزحف باتجاه حلب[101]. وامام هذه الانتصارات الخوارزمية حاولت حكومة حلب مواجهة الموقف والدفاع عن المدينة، فقامت ضيفة خاتون بنت الملك العادل بمجموعة من الاجراءات منها اعلان حالة الطوارئ واحكام الدفاع عن بوابات مدينة حلب، وحاولت طلب المساعدة العسكرية من المناطق المجاورة ومنها حمص ودمشق بالاضافة الى سلاجقة الروم ومشايخ القبائل[102] في الشام، وكاجراء احترازي عمدت حكومة حلب الى اطلاق سراح الاسرى الصليبيين كمبادرة حسنه لمنع تعاون الصليبين مع الخوارزمية ضد حلب[103].تسارعت الاحداث واصطدمت قوات حلب المتحالفة مع القوات الخوارزمية في معركة فاصلة سنة640هـ/ 1242م وكانت الغلبة للتحالف الحلبي، وليس هذا فحسب بل استطاع ذلك التحالف من استعادت المدن التي كانوا قد استولوا عليها، كما استطاع من تحرير الاسرى[104]، وعليه كانت الاجراءات التي قامت بها حكومة حلب قد اثبتت كفاءتها وبرهنت مدى مقدرتها في توحيد القوات الشامية ومن ثم الانتصار الحاسم على الخوارزمية تلك القوة التي اقلقت مدن بلاد الشام ومنها مدينة حلب وبالتاكيد كان لهذا الانتصار اثره الواضح في بقاء الاحتفالات بنشوة النصر اياما في حلب ، فضلا عن رخص الحاجات نتيجة الغنائم التي حصلوا عليها[105].ورغم تلك الضربة التي تلقتها الخوارزمية على يد التحالف الحلبي فانها عاودت الغارات ضد حلب بعد فترة[106] ولم تتوقف تلك الغارات الا بعد عقد صلح بين الطرفين بتوسط سلاجقة الروم[107] وذلك نتيجة حاجة كل الاطراف المتصارعة لذلك الصلح[108].ومع هذا كانت الخوارزمية غير ملتزمة ببنود عقد الصلح لانها كانت تتجاوز على مدن بلاد الشام بين الحين والاخر، ومنها محاصرتها لمدينة حلب سنة 644هـ/ 1246م، ولهذا ظهرت الحاجة لمواجهة هذا الاختراقات بتوحيد جهود قوات كل من حلب ودمشق وحمص من جديد، لان الخوارزمية لايمكن الانتصار عليها الا بتحالف قوي، وخاضوا عدة معارك الى ان تم الانتصار الحاسم عليها في احدى المعارك بعد ان قتل قائدهم وتشتت قواتهم[109]، وقد وصف ابن واصل ما قام به الخوارزميون من اعمال تخريب بقوله:((وكفى الله الناس شرهم فان البلاد كانت منهم في بلاء عظيم من النهب والسبي وسفك الدماء وانتهاك الحرمات...))[110].

3- علاقة حلب بالارمن[111] :كان الارمن مصدر تهديد وقلق في منطقة شمال الشام وذلك من خلال غاراتهم على المدن الشامية ومنها مدينة حلب، فضلا عن تعاونهم مع الصليبيين ضد المسلمين، ولهذا ادرك صلاح الدين مدى خطرهم[112] وعالج الموقف بحجم تلك الخطورة، كما تابع الجيش الحلبي تحركاتهم وغاراتهم واضطر الى ابقاء جزء كبير من الجيش على الاطراف لمراقبتهم، ونتيجة لخطر هؤلاء وضرورة متابعتهم فقد اعفى صلاح الدين الجيش الحلبي من الاشتراك مع قواته المتجه لمحاربة الصليبيين في معركة حطين سنة 583هـ/ 1187 م، لانه مكلف بواجب المراقبة والمتابعة لتحركات الارمن[113]. ويبدو ان خطر الارمن كان يشمل المناطق المجاورة، فقد حاصر زعيم الارمن ليون الارمني قلعة انطاكية وحاصروا حاكمها بوهمند الرابع[114]، ولهذا نجد الاخير يستنجد بالملك

---

[93]- لم تستمر المصاهرة بين الملك المعظم وجلال الدين منكبرني وذلك لقتل جلال الدين عند اصطدامه بالمغول سنة 628هـ/ 1230م؛ سبط ابن الجوزي، مراة الزمان،ج 8،صق2،ص669؛ ابن واصل ، مفرج الكروب،ج 4،ص322.

[94]- ابن الاثير، الكامل،ج 9،ص381، ابن العديم، زبدة الحلب، ج3،ص209.

[95]- حاولت صيغة خاتون الاستفادة من الخوارزمية ومقاتليهم ضد الملك الكامل وتوجيهاته. ابن العديم، زيدة الحلب،ج 3،ص236.

[96]- ابن العديم، زبدة الحلب،ج 3،ص249؛ التكريتي، الايوبيون،ص 297.

[97]- كان العداء بين حلب وحماه، حيث قام الحلبيون بعد وفاه الملك الكامل سنة 635هـ/1237م بالهجوم على حماه لمولاتها للملك الصالح نجم الدين ايوب صاحب الموصل.

[98]- يذكر صاحب كتاب الحوادث ان سبب اغارة الخوارزمية على حلب يكمن في رفض الملك العادل تزويج احدى بناته للامير(محمد تركان خان) امير الخوارزمية.مجهول، كتاب الحوادث ، تحقيق: مصطفى جواد، بغداد، 1955م،ص 143-144؛ التكريتي، الايوبيون ص،298.

[99]- ابن واصل، مفرج الكروب،ج 5،ص290-291؛ العريني، السيد الباز، الشرق الادنى، في العصور الوسطى، الايوبيون، بيروت، د.ت،ص 134.

[100]- ابن العديم، زيدة الحلب،ج 3،ص248 وما بعدها،؛ ابن واصل، مفرج الكروب،ج 5،ص281 وما بعدها.

[101]- ومنها برج الرصاص وجبل سمعان والعمق ومنبج وعزاز وتل باشر.

[102]- استعانت حكومة حلب بعض مشايخ القبائل العربية في الشام ومنهم ظاهر بن غنام . ابن العديم، زيدة الحلب،ج 3،ص254.

[103]- ابن العديم، زيدة الحلب،ج 3،ص254-255.

[104]- ابن العديم، زيد الحلب، ج3،ص259 وما بعدها؛ ابو الفدا، المختصر،ج 3،ص172،168وما بعدها.

[105]- كان لذلك الانتصار اثره في الواضح في بقاء الاحتفالات بذلك النصر اياما في حلب فضلا عن رخص سعر الحاجات نتيجة الغنائم التي حصلوا عليها. سبط ابن الجوزي، مراة الزمان،ج 8،صق2،ص738؛ ابن العديم، زيدة الحلب،ج 3،ص259.

[106]- كانت غازات الخوارزمية بين سنتي(640-641هـ/1242-1243م). ابن واصل، مفرج الكروب،ج 5،ص314.

[107]- تمكن الامير شمس الدين الاصفهاني مبعوث سلطان سلاجقة الروم غياث بن كيخسرو من اقرار الصلح بين حاكم مدينة حلب والخوارزمية. ابن واصل، مفرج الكروب،ج 5،ص359.

[108]- ظهرت الحاجة الى توحيد الجهود ضد الخطر المغولي. ابن واصل،5،ص314 وما بعدها.

[109]- قتل قائدهم حسام الدين بركه خان على يد جندي من الجيش الحلبي. ابن واصل، مفرج الكروب،ج5،ص 326-327 ؛ ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص156-157.

[110]- ابن واصل، مفرج الكروب،ج 5،ص359.

[111]- كانت الامبراطورية البيزنطية قد منحت ملوك ارمينيا وامراءها ضياعا واسعة في اقليم كادوكيا، مما ترتب هجرة اعداد كبيرة من الارمن الى ذلك الاقليم في شرق اسيا الصغرى، ولكن توسع الاتراك السلاجقة في كادوكيا واستقرارهم في ذلك الاقليم، جعل اولئك الارمن يبحثون عن ماوى جديد فاتجهوا نحو اقليم قيليقية الجبلي جنوب شرق اسيا الصغرى، وتركزوا في الجهات المحيطة بملطية والرها وانطاكية.ينظر، عاشور، سعيد عبد الفتاح، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1991م،ص 53-54؛ رانسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، بيروت، 1968م، 3،ص167-169.

[112]- حاول صلاح الدين الحد من خطورة الارمن فجهز لهم حملة عسكرية سنة 576هـ/ 1180م واستطاع من اخضاع ملكهم روبين(ابن ليون) ومن ثم اطلاق ما لدية من اسرى المسلمين، ج3،ص154-155.

[113]- ابن شداد، سيرة صلاح الدين، ص60.

[114]- ابن واصل، مفرج الكروب، 3،ص155؛ ابو الفداء، المختصر،ج 3،ص105.

الظاهر الذي خرج بعسكره لنجدته الامر الذي دعا زعيم الارمن الى الانسحاب دون تحقيق مطالبه[115]، وقد ذهب الظاهر ابعد من ذلك عندما طلب من امير انطاكية الاشتراك معه لمهاجمة ارمينية والقضاء على عدوهما المشترك ليون الارمني ((واستئصال شافته وقلع اثره))[116]، وكرد على ذلك عمد الارمن الى قطع العلاقات التجارية مع كل من حلب وانطاكية في سنة 599هـ/1202م[117]، ولم يكتفوا بهذا الحد بل قاموا بالهجوم على انطاكية اكثر من مرة ونجح الجيش الحلبي باجبارهم على الانسحاب[118].وفي الجانب نفسه لجا الظاهر الى التحالف مع كيخسرو سلطان سلاجقة الروم في التعاون مع الدواية لمحاربة ليون الارمني، ولهذا قصدوا بلاده وسيطروا على بعض حصونها[119]، مما حدا بملك الارمن الى مد يد العون الى الملك العادل، عم الظاهر وعندئذ حصل الصلح مع ليو الارمني، شريطة ان يرد حصن بغراس الى الداوية والا يتعرض لانطاكية[120].ادرك ليو الارمني بعدم كفاءته العسكرية اذا ما قورنت بقوات حلب، ولهذا اتبع المناورة السياسية بدلا من الاجراءات العسكرية لتحقيق اهدافه، ومع هذا فقد نقض ليو الصلح بمهاجمته لاعمال حلب في المدة (602-603هـ/ 1205-1206م)[121] مستخدما عنصر المفاجاة، ورغم انه لم يحقق هدفه الرئيسي وهو السيطرة على مدينة حلب، لكنه الحق خسائر في الجيش الحلبي[122].حاول الظاهر تحجيم حلفه مع سلاجقة الروم في سنة(605هـ/ 12108م) والتي من شانه اعاد اغلب المدن التي كانت تابعة لليو الارمني، وهذا الامر ادى بالزعيم الارمني الى اعلان احترامه لبنود العقد المبرم مع الملك الظاهر صاحب حلب[123]، وفي المقابل اوقف الملك الظاهر تعاونه العسكري مع انطاكية، وهذا الشيء حدى بالزعيم الارمني ان يتجه الى انطاكية ويحتلها سنة 612هـ/ 1215م، ولارضاء الملك الظاهر قام باطلاق سراح الاسرى المسلمين في انطاكية، واستمرارا مع هذا المنهج ارسل برسالة الى الملك الظاهر يبين ولائه المطلق له[124]، واستمر ذلك الولاء والعلاقات الحسنه الى سنة 644هـ/ 1246م.

ولكن الارمن نهجو منهجا اخر حين طوروا علاقاتهم مع المغول ضد العرب المسلمين وتوج ذلك بزيارة زعيمهم سنة 651هـ/ 1253م الى عاصمة المغول وعرض عليهم التبعية والخضوع وقد استقبله الخان بكل حفاوة وتكريم وسمع الى مطالبيه وهي:-

1- دعوة حاكم المغول(منكوخان) الى اعتناق المسيحية.
2- مساعدة المسيحيين في استعادة الاراضي المقدسة .
3- طرد الخليفة العباسي المستعصم من بغداد .
4- تمكين الارمن من بسط هيمنتهم على الارضي التي انسلخت عن مملكة الارمن.

وقد وعد متكوخان بتحقيق هذه المطاليب عندما قال للملك الارمني هيثيوم: ((لو لا انشغالنا في اراضي منغوليا، لتوجهت بنفسي الى الارضي المقدسة منطلقا من احترامنا الشديد للسيد المسيح، لذلك سنوكل الامر لاخينا هؤلاكو ليقوم بتحقيق هذه المهمة، وسوف يحرر المقدس ويعيدها للمسيحيين، ونتمنى ان يقضي هولاكو على الخليفة باعتباره العدو الاول لنا))[125]، وبعد عدة لقاءات، خرج زعيم الارمن باتفاق يتضمن:-

1- تبعية هيثيوم للخان الكبير، مقابل ضمان مملكته.
2- تعهد هيثيوم بالمشاركة بكافة قواته مع جيش هولاكو في حملته على ديار بكر وبلاد الشام لقاء تعهد الخان بمنحه بعض المقاطعات ومساعدته في استعادة بيت المقدس.
3- اعفاء كل الكنائس والاديره المسيحية الخاضعة لحكم المغول من الضرائب.
4- منحه صفة كبير مستشاري الخان في شؤون المسيحيين في غرب اسيا[126].

وهكذا بدا هذا التحالف المغولي الصليبي، لان هيثيوم مخول من الصليبيين بالتحدث عنهم في علاقاته بالمغول ومنهم بوهيموند السادس صاحب انطاكية[127].

4- علاقة حلب بالصليبيين :كانت حلب بموقعها المتميز مركز الصراع العسكري بين المسلمين والمسيحيين، فقد تعرضت لحصار الصليبيين[128]سنة518هـ/1124 والحقوا الاذى باهلها، فعمدوا الى التمثل باسرى المسلمين، ونبشوا قبور موتاهم ، وتعرض سكانها الى المجاعة، وانتشار الامراض واضطروا الى اكل لحم الكلاب[129]، ومع هذا فقد صمد اهلها ودافعوا عن مدينتهم لدرجة ان المريض منهم اذا دق بوق زحف الافرنج ((قام المرضى كانما انشطوا من عقال وزحفوا الى الافرنج وردوهم الى خيامهم))[130].وكان لهذا الصمود اثره الواضح في افشال اهداف الصليبيين[131] من ناحية وجعل حلب مركزا لادارة عملياتهم العسكرية بهدف تامين الخط الدفاعي للمناطق التابعة لهم من ناحية اخرى، ويبدو ان التعاون بين حلب والموصل كان حاضرا في سنة 576هـ/1176م حين نظّم اهل حلب صفوفهم لمهاجمة صلاح الدين، وذلك بعد وصول سيف الدين غازي بعسكر الموصل ومعه صاحب كيبغا[132] وغيرهم، حتى

---

[115]- ابن العديم، زبدة الحلب،ج 3،ص155-156؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3،ص154-155.
[116]- ابن واصل، مفرج الكروب، ج3،ص187.
[117]- المصدر نفسه، ج3،ص140.
[118]- ابن العديم، زبدة الحلب،ج 3،ص155-156.
[119]- ابن واصل، مفرج الكروب،ج 3،ص187.
[120]- ابن العديم، زبدة الحلب، 2،ص244.
[121]- المصدر نفسه،ج 3،ص156.
[122]- ابن الاثير، الكامل،ج 9،ص282 ؛ سبط ابن الجوزي، مراة الزمان،ج8،صق2،ص526.
[123]- ابن واصل، مفرج الكروب، 3،ص233.
[124]- المصدر نفسه،ج 3،ص235.
[125]- M.Cbem , Three Italian Travellers, Moccow, 1968 , p.20 564 ؛ لامب، هارولد، شعلة الاسلام، ترجمة محمود عبد الله يعقوب، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، 1967م،ص.
[126]- رانسيمان، تاريخ الحروب، ج3،ص512.
[127]- لامب، شعلة الاسلام، 564.
[128]- ابو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي، المختصر المعروف بـ(تاريخ ابي الفداء)، تحقيق محمود ايوب، دار الكتب العلمية، بيروت،2،1997،ص60؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي ،زين الدين عمر بن مظفر ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996،ج 2،ص31-32.
[129]- ابن العديم، زبدة الحلب، ج2،ص224 وما بعدها.
[130]- المصدر نفسه، ج2،ص227.
[131]- ساعد في صمود اهل حلب وصول اقسنقر البرسقي صاحب حلب الذي راسله اهلها وعرضوا عليه تسليم المدينة له، وقد تم ذلك بالفعل عند رحيل الصليبيين. ابو الفداء، المختصر،ج 2،ص60؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي،ج 2،ص31-32.
[132]- ويقال كيبيا وهي بلدة وقلعه عظيمة مشرفه على دجله، الحموي، معجم البلدان، ج2،ص265.

اجتمع في حلب جيش ضخم خرج به كمشتكين وكان قد تواعد مع ريموند كونت طرابلس والافرنج على نجدتهم[133]، وقاموا باطلاق سراح ارناط[134] وغيرهم، ولكنهم هزموا جميعا امام صلاح الدين في معركة قرب تل السلطان[135] وتميزت الفترة اللاحقة بصمود الحلبيين امام الغزاة الصليبيين، في حين كانت سياسية صلاح الدين تهدف الى القضاء عليهم قضاء تاما، وهذا لايتيسر قبل اقامة دولة قوية وموحدة ولهذا فقد هادن الصليبين موقتا لتصفية حسابه مع الامراء المسلمين.ورغم عدم مشاركة اهل حلب في معركة حطين سنة 583هـ/1187م بسبب متابعتهم لتحركات الارمن كما نوهنا سابقا، ولكنهم شاركوا في استثمار الفوز بعد معركة حطين وذلك بتحرير مدن شامية كثيرة من الاحتلال [136]، في حين دافع الجيش الحلبي عن مدن اخرى[137]، وشارك في تنظيم هجمات ضد الصليبين[138].كما ساهم اهل حلب في التصدي للحملة العسكرية الالمانية بقيادة فرديك بربروسا التي كانت جزء من الحملة الصليبية الثالثة، تلك الحملة التي واجهت عداء كبير من قبل الامبراطور البيزنطي الذي كان يرتبط بعقد صلح مع صلاح الدين ولهذا كان يخبره بتحركات الحملة الالمانية التي كانت نتيجتها الفشل لتعرضها لهجمات شديدة من قبل السلاجقة واهل حلب والدولة البيزنطية[139] من جهة وموت قائد الحملة من جهة اخرى، ورغم تلك العمليات الجهادية المشرفة، فان الساسة في حلب حاولت استخدام ورقة المهادنة مع البيزنطيين لتصفية حساباتهم وترتيب امورهم، وذلك ما بين سنتي (606 -611هـ/1209-1214م) فقد كان الملك الظاهر مشغولا في مشاكله السياسية والعسكرية مع عمه العادل فضلا عن غارات الارمن[140].

لم تستمر المهادنة بين الطرفين طويلا، وذلك لخرقها من قبل الصليبيين الذين هجموا على حصن الخوابي سنة 611هـ/1214م فتصدت لهم القوات الحلبية وحالت دون السيطرة على الحصن[141]، وكرد فعل على هذا الاختراق قامت قوات حلب سنة628هـ/1230م بشن غارة مماثلة على بعض الحصون[142]، كاجراء تاديبي ووقائي، ويبدو ان تلك الاعمال انتهت بعقد هدنه بين حلب والصليبيين استمرت حتى عام 634هـ/ 1236م حين اخترقت بالاغارة على بلدة العمق وهي من اعمال حلب، ومع هذا فقد هزم الصليبيين مرة اخرى لوصول النجدة من جيش حلب[143]، وكرد مماثل وسريع شن العزيز بن الظاهر صاحب حلب هجوما على حصن بغراس سنة 634هـ/ 1226م، وواصل الناصر بن العزيز مشوار ابيه بالاغارة على الدواوية في بغراس وكادوا ان ياخذوا الحصن، لولا تدخل بوهيموند الخامس صاحب انطاكية وتم عقد الهدنة بين الطرفين[144].وفي سنة 635هـ/1227م نقض الداوية الهدنة واغاروا على دربساك ولكن اصحاب الحصن ابدوا مقاومة عنيفة ضد الصليبيين، وعندما وصلت الانباء الى حلب توجهت العساكر الى هناك والحقت الهزيمة بالداوية ولم ينج منهم الا القليل[145].وهكذا عجز الامراء الصليبيون في الحصول على موطئ قدم في حلب وتكبدوا ما تكبدوا من الخسائر الكبيرة، وذلك لصمود اهل حلب فضلا عن النجدات التي تلقتها المدينة من الامراء المسلمين، ولهذا لجا الصليبيون الى طريق اخر توقعوا ان ينجح وهو شن اعمال التخريب في البلاد، فاشعلوا النار في المدينة سنة 650هـ/1250 م وعن ذلك بذكر المقريزي في حوادث تلك السنة: ((وفيها وقع بمدينة حلب حريق عظيم ظهر انه من الفرنج ، وتلف فيه اموال لا تحصى، واحرقت ستمائة دار))[146].غير ان العلاقات بين المسلمين والصليبيين قد تعرضت لطارئ جديد، ذلك ان جموع المغول الزاحفة من الشرق اسقطت الخلافة العباسية سنة 656هـ/ 1258م، ثم واصل المغول زحفهم نحو الشام ((فجفل الناس من بين ايديهم الى الديار المصرية والجبال والاماكن الوعرة ... وكان نزولهم على حلب سنة (658هـ/1256م) واستولوا عليها))[147].

5- علاقة حلب والمغول[148]: شهد العالم الاسلامي في القرن السادس الهجري/ الثالث عشر الميلادي هجمة مغولية شرسة قادمة من الشمال الشرقي من اسيا على شكل موجات في فترات زمنية متعاقبة، اجتاحت خلالها الدولة الخوارزمية التي كانت تمثل دولة حاجزة(buffer slate) لحماية العالم العربي من اخطار الهجمات المغولية، لتصل طلائع المغول الى اطراف العراق سنة

---

[133]- ابو شامة، الروضتين،ج 1 ،ص651.

[134]- ابو شامة، الروضتين،ج 1 ،ص651 وما بعدها؛ الغامدى، عبد الله سعيد محمد، صلاح الدين والصليبيون، بيروت، د.ت، ص345. قاموا باطلاق سراح ارناط برنس الكرك وجوسلين كورتيناي خال ملك القدس وكان صاحب حارم، وسائر الاسرى الصليبيين الذين كانوا معهما .ابو شامة، الروضتين،1،صق2،ص651؛ رانسان، تاريخ الحرب الصليبية،ج2،ص657؛ تدمري، عمر عبد السلام، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور ، ط2، موسسة الرسالة، بيروت، 1984،ج 1،ص523.

[135]- ابن العديم، زبدة الحلب، ج3،ص155-156. موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو حلب وهو المعروف بالفنيدق، الحموي، معجم، ج2،ص42.

[136]- ابن واصل، مفرج الكروب، ج3،ص141، 155، 165،ج 4،ص310 -311. منها حماه وبارين، الخوالي ودمياط فمصر، ابن واصل، مفرج الكروب، ج3،ص141، 155، 165،ج 4،ص310 -311.

[137]- ابن الاثير، الكامل،ج 9،ص29 وما بعدها، ومن هذه المدن صفورية وسرمين، وجبلة واللاذقية وكالغيد وبلاطنس ودريساك وغيرها.

[138]- ابن واصل، مفرج الكروب،ج 3،ص155-224،165،156،ج 4،ص92، 310- 311 ، ومن اهمها انطاكية وطرابلس وبانياس وحصن المرقب والاكراد. ابن العديم، زبدة الحلب، ج3،ص155-156. كما قام الطاهر غازي بالتوجه الى سرمينية وحاصرها واجبرها على الاستسلام، ابن شداد، النوادر، ص92.

[139]- للمزيد من المعلومات ينظر ابو شامة، الروضتين،ج 1،ص150 وما بعدها؛ الغامدى، عبد الله سعيد محمد، صلاح الدين والصليبيون، بيروت، د.ت، ص345.

[140]- ابن العديم، زبدة الحلب، ج3،ص155-156.

[141]- ابن واصل، مفرج الكروب،ج 3،ص224.

[142]- ابن العديم، زبدة الحلب،ج 3،ص210. ومنها المرقب وبانياس، ابن العديم، زبدة الحلب،ج 3،ص210.

[143]- ابن العديم، زبدة الحلب،ج 3،ص230 -232.

[144]- ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي،ج 2،ص160، الجنابي، طالب صبار، امارة انطاكية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، 1996م، ص207.

[145]- ابن العديم ، زبدة الحلب،ج 2،ص225.

[146]- المقريزي، تقي الدين ابي العباس محمد بن علي، السلوك المعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م،ج 1،ص478.

[147]- اليونيني، قطب الدين محمد بن احمد، ذيل مراة الزمان،دار المعارف، حيدر اباد، الدكن 1954م، مج 1،ص1،ص349.

[148]- نشاة المغول الاصليون في الهضبة المعروفةبـ(هضبة منغوليا) شمال صحراء جولي، وهي تمتد اواسط اسيا، وجنوب سيبيريا وشمال التبت وغرب منشوريا وشرق تركستان انطلقوا وهجموا على بغداد سنة 656هـ/1258م عنها ينظر: ابن الاثير، الكامل،ج 9،ص329 وما بعدها؛ الداوداري، ابو بكر بن عبد الله، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1972م،ج 7،ص216؛ الصياد، فواد عبد المعطي، المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت،1981م،ج 1،ص24 وما بعدها؛ امين، محمد فتحي، الغزو المغولي لديار الاسلام، الاوائل للنشر والتوزيع، دمشق،2005م،ص 25 .

618هـ/1221م[149]، مستغلة الصراعات الدائرة في بلاد الشام والجزيرة [150] وفشل المحاولات[151] في التصدي لذلك الغزو.تعرضت بلاد الشام والجزيرة سنة 628هـ/ 1230م الى هجمات متعاقبة من المغول وما رافقها من دمار وتخريب، اضطر خلالها الملك الكامل والملك الاشرف الى الخروج لصد الغزاة، ولكن وصول الامداد جاء متاخراً، حيث غادروا المنطقة ولهذا لم يحصل قتال بين الطرفين[152]. كما اشتركت القوات الحلبية مع قوات سلاجقة الروم في التصدي للمغول في مناطق سلاجقة الروم وذلك سنة 638هـ/ 1240م[153]، وتكررت تلك المشاركة في سنة 641هـ/1244م لكنها انسحبت من ارض المعركة بعد هزيمتهم رغم تفوق القوات الحلبية في بداية المعركة[154]، ولكن يبدوا ان انكسار سلاجقة الروم وهزيمتهم، جعلت قوات حلب تنسحب من المعركة، كنوع من اعادة التنظيم وتهيئة الجنود للقتال ورفع روحهم المعنوية.واستمر المغول في مهاجمتهم لمدن بلاد الشام والجزيرة، ويبدو ذلك بسبب تغيير خططهم وستراتجيتهم العسكرية، فبعد ان كانوا يهاجمون الاطراف، بدأوا بمهاجمة مدن الداخل ولهذا نجدهم يتجهون الى حلب سنة 642هـ/ 1244م ونزلوا شمال حلب في منطقة تدعى جيلان[155]، وعملوا ما عملوا من قتل واسر وتخريب، واثر ذلك في خلق جو مضطرب حدا باهل حلب الى الاستعداد للحصار الذي قد يفرض عليهم، ولكن يبدوا ان المغول رحلوا بعد ان شاهدوا صعوبة الاستيلاء على المدينة [156]، ومع هذا حاول السلطان تغيير استراتيجيته بشكل يتلائم مع الوضع الجديد[157].وصلت رسل المغول الى الملك الناصر يوسف سنة 649هـ/ 1251م يطالبون بدفع مبلغ من المال، فقابلهم وزيره زين الدين الحافظي واكد لهم عدم دفع ذلك المبلغ لانهم معفين منه على ضوء الوعد الذي حصلوا علية من خانهم، ولهذا غادر هؤلاء الرسل وطلباتهم غير مجابة[158]، وربما كان ذلك سببا في قيام المغول في سنة 650هـ/1252م بهجوم على مدن كانت ضمن اعمال حلب ومنها راس عين وسروج وغيرها مخلفا قتل واسر اعداء كبيرة من السكان، وصادفوا قافلة متجه من حران الى بغداد ((فاخذوا منها اموال عظيمة، من جملتها ستمائة حمل سكر من عمل مصر، وستمائة الف دينار، وقتلوا الشيوخ والعجائز...))[159].كانت تحركات المغول بداية لهجومهم على بغداد خصوصا بعد فشل كل محاولات الخلافة[160] لاستدراك الموقف، فدخلوها سنة 656هـ/1258م واحدثوا فيها مذبحة رهيبة[161] ((ودام القتل والنهب في بغداد اربعين يوما، ثم نودي بالامان))[162]. وهكذا كان لدخول المغول بغداد اثره الكبير في سائر المدن الاسلامية ، واهتز الامراء المسلمون لذلك، ومنهم الناصر يوسف الايوبي صاحب حلب الذي اعلن خضوعه للمغول، ولهذا ارسل ابنه العزيز سنة 656هـ/1258م بصحبة وزيره زين الدين الحافظي ومعه هدايا وتحف ليعلن ولاء ابيه الى هولاكو وذلك (لعلمه بعجره عن ملتقى التتر)[163]، ورغم ذلك تحجج هولاكو بان عدم حضور الناصر اهانه له ولهذا عاد الملك العزيز الى ابيه وهو يحمل كتابا مخيفا وصف فيه هولاكو ما حل ببغداد ويطلب من الناصر الدخول هو وتبعيته في طاعة المغول[164]، وامام هذه الظروف لم يجد الناصر يوسف امامه سوى المماليك، فارسل لهم مبعوثه كمال الدين ابن العديم ليطلب النجدة ضد خطر المغول، وعلى اثر وجود ابن العديم عقد مجلس للمشاورة ضم الفقهاء والقضاة والاعيان في القلعة، اثمر عن اعلان الجهاد ضد الغزاة[165]، ورافق ذلك التغيير السياسي الذي تم بموجبه عزل الملك المنصور بن علي بن المعز ايبك الذي كان صبيا صغيرا وتولى سيف الدين قطز [166]، ثم استنفار القوات المصرية للدفاع عن ديار الاسلام ضد الغزاة المغول وذلك من خلال الرسالة التي حملها ابن العديم الى الملك الناصر بن سيف الدين بن قطر والتي يقسم فيها ((بالايمان انه لا ينازعه في الملك ولا يقاومه وانه نائب عنه بديار مصر، ومتى حل بها اقعده على الكرسي وقال فيه ايضا، وان اخترتني خدمتك وان اخترت قدمت ومن معي من العسكر نجده لك على القادم عليك فان كنت لا تامن حضوري سيرت اليك العساكر صحبة من تختاره ...))[167]، ومع هذا ظل الناصر يوسف في دمشق رغم وعود المماليك، وربما كان هذا بسبب تامر عسكره عليه، بعد

---

[149]- الداوداري، كنز الدور،ج 7،ص216.

[150]- حاول جلاد الدين الخوارزمي حشد القوات وتكوين تحالفات تقف بوجه المغول، وحاول استمالة امراء الايوبيين وديار بكر والجزيرة ولكنه فشل لانعدام الثقة بجلال الدين لما قام به من جرائم ورعب في المنطقة. للمزيد ينظر: خليل، عماد الدين، الامارة الارتقية في الجزيرة والشام، موسسة الرسالة، بيروت، 1980م،ص 318وما بعدها.

[151]- ادى التنافر بين الامراء في الجزيرة وبلاد الشام الى تشتيت القوى والامكانيات العسكرية والمادية مما ادى الى اضعافها وسهولة اختراقها من قبل المغول عنها ينظر شبرلي، بارتولد، العالم الاسلامي في العصر المغولي، ترجمة خالد اسعد عيس، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1982م، ص30-33.

[152]- سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، 8،ق2،ص245؛ ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص134 وما بعدها.

[153]- ابن واصل، مفرج الكروب، ج5،ص325،282.

[154]- ابن العديم، زيدة الحلب،ج3،ص249، 268 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج5،ص325،282.

[155]- من قرى حلب تخرج منها عين قوارة كثيرة الماء وتسيح الى حلب، الحموي، معجم البلدان،ج 2،ص332.

[156]- ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ج 3،ص472.

[157]- ارسل الناصر يوسف الثاني وفدا الى المغول ضم اخاه الملك الظاهر الثاني ووزيره زين الدين الحافظي وذلك سنة 6430هـ/1245م محملا بالهدايا للخان كيوك بمناسبة تنصيبه زعيم للخانيين لكن هذه العلاقات قوبلت ببرود عند المغول، للمزيد انظر: الهمداني، جامع التواريخ،ج 2،ق1،ص181.

[158]- ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ج 3،ص61.

[159]- المقريزي، السلوك،ج 1،ص477.

[160]- ارسل الخليفة شرف الدين ابن محي الدين ابن الجوزي ليفاوض المغول ويعدهم باموال كثيرة، كما فكر الخليفة في ان يسترضي المغول بالدعاء لهم في الخطبة وتنقش اسمائهم على السكة ولكن رجال الدولة عارضوه في ذلك لان المغول غير مسلمين، ابن تغري يردى، النجوم الزاهرة،ج 7،ص49؛ عاشور، ج2،ص885-886.

[161]- قدر عدد ضحاياها بثمانمائة الف من السكان، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 7،ص50.

[162]- ابو الفداء، المختصر،ج2،ص302.

[163]- ابو الفداء المختصر،ج2،ص350.

[164]- المقريزي، السلوك،ج 1،ص506.

[165]- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ،ج 7،ص72.

[166]- ابو الفداء، المختصر،ج 2،ص307 ؛ المقريزي، السلوك،ج 1،ص507.

[167]- المقريزي، السلوك،1ج،ص506.

ان اتصلوا بالملك المغيث بالكرك، والذي تشجع وخرج لمهاجمة دمشق، ولكن الناصر يوسف انزل فيهم الهزيمة ورحل المغيث الى الكرك في حين فر المتامرون، ومن الواضح ان هذه الفتنه قد اضعفت مركز الناصر يوسف وانقصت من قوته في الوقت الذي كان فيه المغول على ابواب الشام، الامر الذي جعل يترك مهمة حماية حلب لابنه المعظم تورانشاه الايوبي ويبقى هو في دمشق[168]، وبالمقابل كان هولاكو قد استولى على امد ونصيبين وخضعت له حران والرها وغيرها في حين قاومته سروج ولهذا عاملها معامله قاسية وعمل السيف في اهلها[169].

وعندما اقتربت جيوش المغول وخلفائهم من حلب اسرع مطران اليعاقبة فيها الى مغادرة حلب لتقديم فروض الطاعة والشكر لهولاكو، في الوقت نفسه ارسل قائد المغول الى اهل حلب يطلب منهم الاستسلام ويحذرهم عاقبة العناد والمقاومة[170]، وهنا يظهر تورانشاه ابرز القيادات الايوبية شجاعة وعزما ووطنية الذي رفض رسالة التهديد تلك، ولم يكتف بهذا بل ارسل الى قائد المغول هولاكو كتابا قال فيه ((ليس لكم عندنا الا السيف))[171]، وهكذا حوصرت حلب سبعة ايام وتم اقتحام سورها واسقاطها في 11/ ربيع الاول/658هـ/1260م) حيث دارت مذابح كبيرة ((وقتلوا منهم خلقا لايعلمهم الا الله عز وجل، ونهبوا الاموال وسبوا النساء والاطفال، وجرى عليهم قريب ما جرى على اهل بغداد ... وجعلوا عزة اهلها اذلة فانا لله وانا اليه راجعون ...))[172]، ولم يتعرض المسيحيون لاي اذى ولم يسلم حتى المسجد الجامع بحلب اذ قام باحراقه هيثيوم الارمني بنفسه[173]، وقد كافأ هولاكو هيثيوم على مشاركته هذه بان منحه قدرا من الغنائم التي حازها في حلب، فضلا عن اضافة املاك الايوبيين لامارته، كما جرى بيع اسرى المسلمين في اسواق سيس عاصمة مملكة هيثيوم، وحصل بوهيموند امير انطاكية على مكافاة مجزية نتيجة مشاركته هولاكو تتمثل بضم اللاذقية وبعض حصون الايوبيين التي تقع على الساحل الى امارته[174].وبذلك سقطت حلب في ايدي المغول، وهي المدينة التي طالما قاومت هجمات الغزاة مرات عديدة، ودمروا قلعتها الشهباء وهي القلعة التي صمدت امام هجمات ابرز قادة الصليبيين وقد اثار سقوطها الرعب في نفوس المسلمين وحكامهم في بلاد الشام، اما الناصر يوسف الايوبي فقد تجرد من كل مسؤولياته وترك دمشق بعد ان سمع بسقوط حلب بيد المغول وتوجه الى مدينة غزه وهو في طريقة الى مصر[175].

6- علاقات حلب مع المدن الايطالية:تميزت العلاقات بين حلب والمدن الايطالية بالهدوء، فقد اهتمت تلك المدن بالتجارة مع مصر والشام، فبعد معركة حطين واسترداد القدس سنة 583هـ/1187م استولى صلاح الدين على معظم الحصون الساحلية في بلاد الشام، واثر ذلك في اضعاف موقف تلك المدن في مؤانى الشام، حيث كانت لهم احياء وموسسات تجارية، وعليه وجدوا في سيطرة صلاح الدين ضربه لعملهم التجاري[176].ارتبطت المدن الايطالية بعد وفاه صلاح الدين بمعاهدات تجارية مع امراء الشام،ففي سنة 604-605هـ/1207-1208م وصل سفير ايطالي يدعى مارينياني (Mariniani) لعقد معاهدة تجارية مع حاكمها غياث الدين غازي بن صلاح الدين وحصلت البندقية بمقتضى هذه المعاهدة على فندق وحمام وكنيسة في مدينة حلب وتجددت الرسوم التي يدفعها تجار البندقية بمقدار 12%[177].وفي عهد العزيز بن الظاهر غازي عقدت معاهدة تجارية مع مدينة بيزا الايطالية وذلك سنة 609هـ/1212م كما وصل حلب سنة 622هـ/1225م سفير ايطالي يدعى بطرس زياني(pitro Ziani) مرسلا من دوق البندقية والذي استطاع من خفض الرسوم الى 6% وحصل على ضمانات بشان سلامة متاجرة التجار الايطاليين ومنهم البنادقة في حالة الوفاة او الغرق[178].
ولكن المدن الايطالية امتنعت من المتاجرة مع المسلمين وذلك عملا بقرار التحريم الذي اصدرته الكنيسة[179]، والواقع ان امتناع الايطاليين قد حصل مرة واحدة فقط ولم تتكرر المقاطعة بعد ذلك حيث وجدت في ذلك خسارة كبيرة على اقتصادها ولهذا اعادت العلاقات من جديد مع المنطقة فوصل على سبيل المثال سفير البندقية سنة 622هـ/ 1225م المدعو فوسكاريني Foscarini الى العزيز بن الظاهر في حلب وعقدت معاهدة تجارية بين الطرفين ثم توجه بعدها الى اللاذقية وبهذا تجددت الامتيازات الايطالية في المدن الشامية[180].ولكن التطور الكبير الذي شهدته العلاقات الايطالية هو في سنة 627هـ/ 1229م حيث وصل سفير ايطالي مبعوث من دوق البندقية يدعى حنا سكولو (john Scolo) الى حلب، واثمرت تلك الزيارة عن معاهدة تجارية حصل بمقتضاها على امتيازات تجارية منها:

1- سمح لهم بتاسيس مستعمرة تجارية في مدينة حلب.
2- سمح له بتعيين وكيل للايطاليين يقوم بحل مشاكلهم.
3- منحهم اقامة كنيسة.

---

[168]- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ،ج7،ص47.
[169]- ابن تغري يردي، النجوم الزاهرة،ج 7،ص47.
[170]- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج 7،ص47-49.
[171]- ابن كثير، البداية والنهاية،ج 13،ص203.
[172]- ابن كثير، البداية والنهاية،ج 13،ص203.
[173]- ابن تغري يردى، النجوم الزاهرة،ج 7،ص47-49؛ الصياد، المغول،ص 294.
[174]- رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3،ص526.
[175]- ابن تغري يردي، النجوم الزاهرة،ج 7،ص75.
[176]- Grousset, R,Histoire des croisades et du Royaume France De Jerusalem, Paris, 1936 ,vol3،ص.43p. يبدو ان الايطاليون توجهوا الى فليب اغسطس بعد استيلائه على عكا سنه 586هـ،ص1191م يلتمسون منه ان يعيد اليهم ممتلكاتهم.
[177]- Ashtor , E , A S and Economic History of the near east in the middle Ages, London, 1976 , p , 240 صبره، عفاف سيد، العلاقات بين الشرق والغرب، القاهرة، 1983، ص91.
[178]- Gibb , a,r, the Damascus Chronicle of the Crusade, London, 1932,p.698. صبره، العلاقات، ص210.
[179]- في سنة 575هـ/1179م اصدر البابا الكسندر الثالث قرارا بتحريم المتاجرة مع المسلمين واصدر الحرمان الكنسي ضد الاوربين الذي سيقومون بتزويد المسلمين بالاسلحة والحديد والاخشاب التي تصلح لبناء السفن وتوعد بان المخالف سيكون قنا وعبدا لمن يقدم بالقبض عليه، وتبع ذلك سنة 594هـ/1198م حين اصدر البابا انوسنت الثالث بمرسوم منع فيه المدن الايطالية من المتاجرة مع المسلمين وهذا المرسوم هو تجديد للمرسوم الذي اصدره الكسندر الثاني، صبره، العلاقات، ص86؛ السامرائي، فراس سليم، العلاقات التجارية بين المدن الايطالية وبلاد الشام، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، العدد الاول،2005م، ص98 وما بعدها.
[180]- Ashtor, Asocial andEcoomic,P.241.

4- اجاز لهم اقامة فندق قرب الجسر المعقود على نهر العاصي[181].

ويبدو ان العلاقات بين الطرفين قد تطورت مع كثرة الجالية الايطالية لدرجة انهم اسسوا مستعمرة لهم ووكيل يدير شؤونهم ويفصل بينهم في المشكلات. وفي سنة 652هـ/ 1254م ارسلت البندقية الى حلب سفيرا خاصا يدعى حنا سامبريدو(john Sambrido) وقد حمل هذا السفير معه عند عودته خطابين من صاحب المدينة الملك الناصر صلاح الدين بن الظاهر غازي يحتويان على عهود الامير بالصداقة والحماية للبنادقة داخل بلاده[182]، وما طبق على البندقية طبق على غيرها من المدن الايطالية واهم مدينة جنوه وبيزا.واخيرا لابد من ذكر ان في حلب كان موظف يدعى (نائب القنصل) وهو يراس التجار الايطاليين في مدينة حلب في حين كان عمل القنصل يتركز في حلف اليمين عند توليه منصبه على ان يحكم بالعدل وعدم الانصياع لاهوائه الشخصية وكان يتقاضى راتبا كبيرا عن وظيفته[183].

الخاتمة

تعتبر مدينة حلب من المدن المهمة في بلاد الشام وذلك لما تمتلكه من مقومات جعلت منها ذات اهمية حيوية من خلال دورها المؤثر في المدة التي تناولها البحث، فقد شهدت تطورا مهما على كافة الاصعدة الاقتصادية (زراعية ،صناعية ، تجارية) فضلا عن دورها الحضاري والفكري.ومدينة حلب تناظر غيرها من مدن الشام في امور كثيرة ولها دور في افشال اكثر من حملة صليبية للسيطرة عليها وبالتاكيد هذا نابع من مقاومة اهلها من ناحية فضلا عن حصانتها وقوة امكانياتها من ناحية اخرى.وهكذا ظهرت حلب وتميزت بشخصيتها وعلاقاتها ومعاملاتها ولكنها لم تكون كيانا مستقلا بذاته بل شكلت مع المدن الاخرى وحدة بلاد الشام، ومن هنا فقد استعرضنا في هذا البحث علاقة حلب بالقوى الاخرى في المدة التي نحن بصددها مبتدئين باستقراء تاريخي للمدينة كجزء من الدولة الايوبية وكيف تم ضمها الى حاضرة تلك الدولة لدورها الفعال والمهم في الوحدة التي سعى صلاح الدين لتحقيقها لمواجهة الغزو الصليبي وكذلك تاريخها بعد صلاح الدين حتى سقوط الدولة الايوبية، اما علاقتها مع الخلافة المركزية في بغداد كونها تمثل السلطة الشرعية ودور الطرفين في تلك العلاقة لحاجة كل طرف الى الاخر خاصة وان حلب وغيرها من مدن الشام تقاتل الصليبيين نيابة عن السلطة المركزية في بغداد. اما علاقتها مع اتابكية الموصل فقد تميزت بتباينها حسب الظروف والمصالح لكل منهما خاصة وان كلاهما ضمن دولة الزنكيين والايوبيين، في حين اتسمت سياستها مع الصليبيين بسمة العداء المستمر حيث كانت قواتها جزء من القوات الايوبية المركزية، ومع هذا تخللها فترات هدنة وسلام الى جانب قيام علاقات تجارية بينهما، كما تناول البحث علاقاتها مع الخوارزمية فكانت متباينة اختلفت حسب طبيعة حكامها وظروفهم السياسية، في حين كانت علاقاتها مع المغول علاقة عدائية ويبدو ان للارمن يد كبيرة حيث كان لاميرهم هيثيوم وكما نوهنا ولهذا يد بتعاونه معهم والذي كان سببا مهما في انهاء الدولة الايوبية وكذلك مجزرة حلب ، اما علاقتها مع المدن الايطالية فقد كانت اقتصادية اكثر من حربية وربما يعود ذلك الى ان مشاركة المدن الايطالية في الحروب الصليبية لم تكن ميدانية بقد ما كانت مساعدتهم في نقل الجنود واطباق الحصار البحري على المدن الساحلية مقابل الحصول على الامتيازات الخاصة، ولهذا كان دورهم مع حلب في تسهيل مهمة التجارة والتجار من الجالية الايطالية.

الهوامش والمصادر

[181]- Heyd,Histoire Du Commerce Du Levant au Moyen AGE , Leipzing,1936, p.370-373 , ؛ صبره، العلاقات، ص94.

[182]- Heyd, Hisloire Du Commerce, Vol.2،صp.25 .

[183]- Heyd , Histories Du Commerce , vol .2،صp.464-465, 226؛ صبره، العلاقات، ص.